Journal of Language Studies Vol.9, No.3, Part 3, 2025, Pages (47-70)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.9.3.3

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Tribal values in pre-Islamic poetry

Diya Latif Saeed*
Ministry of Education, General Directorate of Education, Salah al-Din, Salah al-Din, Iraq, Yathrib Education Department.
drdeyaalatif@gmail.com

Received: 13/8 / 2025, **Accepted:** 21/9 /2025, **Online Published: 30/ 9 /2025**

Abstract :

The research aims to study tribal values in pre-Islamic poetry by reviewing images and examples from their poetry, expressing various positive attitudes toward the tribe in various fields and areas. The research utilizes a descriptive and analytical approach, making the collections of pre-Islamic poets a reliable source for research in particular. Through this approach, the social structure of the pre-Islamic era is revealed, by making this poetry a cultural identity and a tribal affiliation based on tribal fanaticism, sometimes linked to pride and other times to strength and greatness. This affiliation formed a cohesive bloc in the face of war. This awareness took another path in the pre-Islamic consciousness, attempting to create a balance between truth and power, in order to gain praise and appreciation, and to resist the collapse of pre-Islamic society, which was exhausted by tribal conflict and tension.

* **Corresponding Author**: Diya Latif Saeed**, Email**: drdeyaalatif@gmail.com
Affiliation: Directorate of Education, Salahuddin\ Yathrib Education Department - Iraq
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

Keywords: values, tribe, boasting, chastity, generosity, belonging, pre-Islamic poetry.

القِيَمُ القَبَلِيَّةُ في الشّعْرِ الجَاهِلِيّ

م د. ضياء لطيف سعيد عطيه

وزارة التربية المديرية العامة لتربية صلاح الدين، قسم تربية يثرب.

التخصص/ اللغة العربية/الادب الجاهلي

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة القيم القبلية في الشعر الجاهلي من خلال استعراض صور ونماذج من شِعرهِم عبّروا فيها عن مختلف المواقف الحَسِنة اتجاه القبيلة في كثير من المجالات والميادين، مُستعيناً في ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي، جاعلاً دواوين الشعراء الجاهليين مصدراً يُعتمد عليه للبحث بشكل خاص، ومن خلاله يتمُّ الكشف عن البناء الاجتماعي في العصر الجاهلي، بجعل هذا الشعر الهوية الثقافية، والانتماء القبلي الذي قام على أساس العصبية القبلية، التي تتصل بالفخر تارة وبالقوة والعظمة تارة اخرى، وشكّلت كتلة متكتلة حول ذَاتِها في الشؤون الحياتية ولا سيّما في مواجهة الحرب، واتخذت كذلك من هذا الوعي مساراً آخر في الوجدان الجاهلي، لكي يحصل على الثناء والحمد ، ومقاومة التداعي في المجتمع الجاهلي الذي انهكته حالة الصراع والتجاذب القَبَلي.

الكلمات المفتاحية: قيم، قبيلة، تفاخر، عِفة، كرم، انتماء، شعر جاهلي.

القيمُ في اللغةِ والاصطلاح:

القيمُ لغةً: أصلها من الفعل(قام)، قوْماً وقياماً وقوْمَةً وقامة: انتصب واقفاً والأمر: اعتدل(بن زكريا, 1979: 43).كما أن القيام والقومة هما مصدران للفعل قام، ويشيران إلى حالة الوقوف والانتصاب(بن زكريا, 1979:44).

(أقام)بالمكان: لبثَ فيه واتخذه وطناً) الفراهيدي, د.ت:233). تقَّوم الشيءُ: تعدّلَ واستوعبَ وتبينت قيمته) الزّبيدي, د.ت:220). والقَوامُ: العَدْلُ – (القوام): قِوام كلِّ شيءٍ: عِمادهُ

ونظامه(الفيروزآبادي,1987: 168). والقيمة: قيمةُ الشيء – قدره وقيمة المتاع: ثمنه – ويقال ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر – والقيّوم: القائم الحافظ لكل شيء – اسم من اسماء الله الحُسنى – القيِّم: السيد(بن زكريا, 1979: 45). القيِّمة: الأمة القيِّمة المستقيمة المعتدلة والأمة القيّمة ، تعني الأمة التي تسير على الطريق الصحيح ، المعتدلة في سلوكها وأفعالها(الفراهيدي ,د .ت: 230). وفي القرآن الكريم، ورد قوله تعالى:﴿ **وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾(البينة:5)، حيث تعني دين الأمة المستقيمة.

القيم في الاصطلاح:

تعددت تعريفات القيم بحسب تعدد الرؤى والفلسفات، فمنهم من عدَّها صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال والأفعال والأخلاق، ولا تتغيَّر بتغيّر الظروف والملابسات(المجمع,1983: 158). أو هي صفة عقليّة والتزاماً وجدانيّاً يوجه فكر الإنسان واتجاهاته ومواقفه وسلوكه(ملكاوي,2011: 225).

بذلك تكون معنى خُلقياً يتطلع إليه الإنسان ويتوجه إليه بكليته، ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه(عبدالرحمن,2001: 15). أو الاهتمام للشيء، أو استحسانه، أو الميل إليه والرغبة فيه ، كونها ذات طابع شخصي ذاتي، وليس موضوعي(صليبا,1976: 213). إذا كانت تجربة فردية لم تتجاوزه إلى الأفراد الآخرين وتكون هذه القيم، أخلاقية واجتماعية ودينية، ومهمٌّ جداً الحديث عنها وعن المصادر والعوامل التي اسهمت في ظهورها ورسوخها في النفوس، وقد حملها الشاعر الجاهلي وتغنى بها في قصائده، واعتنى بها عناية فائقة. وقد تميَّزت شخصيته بالمروءة والشجاعة والكرم والصّبر وعمل الخير، إذ سيطرت الصحراء على مشاعره فجعلته شجاعاً كريماً أميناً؛ لِيكرِم الضيوفَ ويحمي جاره، وكلُّ ذلك يبعث على عزّة النفس والشهامة التي كان يتمتع بها العربي بصفةٍ خاصة.

ولعلَّ الشّاعر حاتم الطائي خير مثال على السخاء والجود والكرم، ومن أقواله في الكرم حديثه مع زوجه ماويّة بنت عفزر، فقال(الطائي, د.ت: 40):

أماويُّ ! ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حَشرَجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصدرُ

أمـاويُّ! إنَّ المالَ غــادٍ ورائـــحُ ويبقى مــن المــال الأحاديث والــذِّكرُ

يخاطب الشاعر في هذين البيتين زوجته، ويقول لها إن المال والغنى لا ينفعان الإنسان حين يحتضر، أي حينما تصل الروح إلى الحلقوم ويضيق صدره بالموت، إذ وصف روحه وهي تتردد في صدره حتى تكاد تُزهق. وهو بذلك يحمل حكمة وجودية واضحة، أن المال والغنى ليسا ضماناً للخلود أو النجاة، وأن الإنسان مهما بلغ من ثراء، فإن مصيره الموت. فقد استطاع أن يمزج بين الحكمة والآسي والتذكير بالمآل الحتمي لكل إنسان. إذ صوَّر حال الإنسان في لحظة الموت، وأراد به العبرة والعظة، والتقليل من التعلّق بمتاع الدنيا الزائل؛ لأن كل ما في هذه الحياة ذاهب إلى فناء، وكلُّ لذّاتُها مؤقتة لا تدوم.

المبحث الأول: مفهوم التفاخر في الشعر الجاهلي

يُعدُّ التفاخر من الموضوعات المهمة التي تحدث عنها الشعراء في العصر الجاهلي، إذ هو تعبير عن الاعتزاز والانتماء للقبيلة، وإظهار محاسنها ومآثرها وشمائلها وتاريخها في مجالات كثيرة منها، الكرم والشجاعة، والنسب، والحروب، والانتصارات، والفروسية وحماية الجار. وتبيّن أن من أكثر ما فخر به الشاعر الجاهلي هو الفخر بالنسب، فهو المعيار المهمّ للبطولة والشجاعة والانتساب للقبيلة وهو رمزها المجتمعي والسياسي (علي,2001: 314) ، فمن صور التفاخر ما قاله عمرو بن كلثوم في معلّقته(ميدان,1992: 80-81):

وَرِثنـا مَجدَ عَلْقمَةَ بـنِ سيفٍ أبـاحَ لنـا حُصـونَ المجدِ دينـا

وَرِثـتُ مُـهلْهـلاً والــخيرَ منــهُ زُهيــراً نِــعمَ ذخـــرُ الذَّاخرينا

وَعَتـــاباً وكُلثومـــاً جَميعــاً بِــهِمْ نـلِنا تُـــراثَ الأكــرَمينــا

وَمِنَّـــا قبلـــهُ السَّاعي كُليْبٌ فـــأيُّ المجـدِ إلّا قَـــدْ وَلينَـــا

بدأ الشاعر في هذه الأبيات الأربعة، بالفعل الماضي(وَرِثنا) وهو مبنيٌ على السكون، و(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجاء بلفظ (ورثنا مجدَ) استعارة مكنية، حذف المشبه به. وبعدها

ذكر التوكيد المعنوي(دينا) الذي يفيد أن المجد لم يكن مجرد إرث؛ بل التزام وواجب. وفي عجز البيت الثاني استعمل صيغة المدح (نعم)، وفيها توكيد بلاغي على عظمة شخصية زهير، واكدها بتوكيد الجمع بقوله(ذخرُ الذاخرينا) للدلالة على قيمته بين العظماء. وفي عجز البيت الثالث استعمل الكناية في قوله(بهم نلنا تراث الأكرمينا) بمعنى أن المجد لم يتحقق لولا فضل هؤلاء العظماء، وهو تعبير يدلُّ على الرفعة والمقام العالي الذي يحتلونه. وبعدها في البيت الرابع استعمل الاستفهام البلاغي الذي يفيد النفي والفخر، أي لا مجد إلا وقد حصلنا عليه ونلناه، وفيه توكيد ومبالغة. فنجده في هذه الابيات كرر الأفعال المرتبطة بالفخر والمجد وقد أعطت تماسكاً دلالياً وبلاغياً وقوةً في المعنى والايقاع الموسيقي الذي يبحث عنه الشاعر. فهو بذلك افتخر بنسبه لتغلب وبأبطالها الشجعان الذين خلدهم التاريخ، فالنسب لديه معيار ومقياس للبطولة والشجاعة.

ومن صور الولاء المطلق والانتماء للقبيلة والدفاع عنها، ما قاله دريد بن الصمة(عبد الرسول, د.ت: 62):

وَما أنا إلّا مِن غزيَّةٍ إنْ غوتْ غَويتُ وإنْ تَرْشدْ غَزِيَّة أَرْشُدِ

فيؤكد الشاعر انتمائه المطلق مع قبيلته، ومساندته لها في الخير والشّر، وأن تعارضت قناعاته مع قناعة قبيلته، وحتى وإن كانت على باطل، فإنه في النهاية يتبنى رأيها ويتعصّب لها تعصباً كاملاً، ولا يتردد في أي أمر تسنده إليه، وأن أي طلبٍ يحقق السيادة للقبيلة فهو يُفدي نفسه لها، وقد كرر اسم (غزيّة) مرتين في صدر البيت وعجزه لتأكيد التبعية والانتماء المطلق في خيرها وشرها، ما دام ذلك يحقق الغاية القبلية، كالنصر أو الشرف، فرسّخت في ذهن السامع اسم هذه القبيلة ومكانتها في نفس الشاعر ومجتمعه؛ لأنه يحمل مسؤولية الدفاع عما ينتمي إليه دون تردد أو تأفف. واستعمل الطباق الإيجاب بين كلمتي(غوت)و(ترشد) الذي برز فيه التناقض بين الغيّ والرشد، ويقوّي الصورة الذهنية، ويُبرز المعنى لدى المتلقي.

وهذا عنترة بن شداد، حينما فخر ببطولة أبناء قبيلته، فقال(الكاتب,1981: 15):

للهِ دَرُّ بَني عَبْسٍ لقد نَسَلُوا من الأكارمِ ما قدْ تَنسِلُ الْعَرَبُ

جاء في صدر البيت الشعري بأسلوب تعجّب سماعي، إذ يفتخر بقومه ويمدحهم ويذكر خصالهم الحسنة، ويقول إنّ لله خيرهم وفعالهم وعطاؤهم، ويقول أنهم أكرم من أنجب العرب في النسب.

وكذلك قال(الكاتب,1981: 253):

فَصَرَخْتُ فيهِمْ صَرْخَةً عَبْسِيَّةً كالرَّعْدِ تَدوي في قُلُوبِ العسكر

فهذا النص الشعري، نموذج للبطل والشجاع الذي يعتزُّ بنسبه لهذه القبيلة، واستطاع أن ينتقل إلى الوعي الجمعي، فشجاعته مستمدّة من شجاعة بني عبس، إذ يفتخر بقبيلته وانتسابه لها. فاستعمل كلمات مثل(صرخت) ،(صرخة) ،(كالرعد) وهي تعزز الاحساس بالصوت العالي المدوي، وكذلك يخلق جواً من الهيبة والتوتر، وجاء بالتشبيه الحسي القوي، بلفظ (صرخة عبسية كالرعد) فقد شبّه صرخته بالرعد ، وقد اشتُهرت قبيلة عبس بالشجاعة والبطولة، وقرنها بلفظة الرعد لما لهذه اللفظة من العنف والقوة والصوت المدوّي المخيف. وكذلك جاء بالاستعارة المكنية في لفظ (تدوي في قلوب العسكر)، ذلك أن الدوي عادةً ما يكون في الآذان، لا في القلوب؛ لكنه جعل الدوي يحدث في القلوب، وكأنها أماكن يتردد فيها الصوت العالي، وهو تعبير مجازي عن الفزع الشديد والخوف والقلق. فكل هذه الصور التي ذكرها عنترة بن شداد تعزز الشجاعة والبطولة التي ارعبت جنود الأعداء بقوته.

فلا غرابة أن الشعر الجاهلي قد حفل بالحديث عن المروءة، وهي تمثَّل الطابع المتميّز والسمة الغالبة في ذلك العصر، لأنها مجموعة من الخِصال والمُثل العليا الرفيعة(الجندي, د.ت: 218) التي تربى عليها العربي بصورة عامة، فكم فخرت النّساء بالرجال من قومهنّ، إذ فكّوا حسناء من السبي، والحبس أو اعتقوا كريمةً، كقول عمرو بن دريد(منصور, د.ت: 84):

وَرُبَّ كريمــةٍ أعتقتَ منهــم وأُخرى قــد فككْتَ مــن الـوثــاقِ

فإن السّبي من العادات السيئة التي لا تريده المرأة، فهو مذمة وعار عليها إن تعرضت له، فهي ((تحثُّ فرسان قومها على إعتاق السّبايا))(ماردیني,2008: 108) ، فهو يمثل قيمة إيجابية للحفاظ على سمعتها وسمعة قبيلتها، فهي كانت ترفضه رفضاً قاطعاً. فالشاعر في هذا النصّ الشعري يفخر

بنفسه على ما قام به من أفعال حَسِنة تُحسب له ولقبيلته لما قام به من تحرير نساء من أصل شريف ونسب رفيع، وتخليصهنّ من الأسر ومن الذلّ الذي وقعنَ فيه، وفي عجز البيت يذكر تحريره لنساء اخريات وتحريرهن من القيود والأسر، سواء هذه النساء كانت مأسورات عنده أو عند غيره، فهو بذلك يُظهر مرؤته وشهامته من خلال إعتاقه للنساء الشريفات، على الرغم من أن له الحقّ في ابقاءهن ، وهذا دليل على أخلاقه ونبله، وحسن تعامله وفخره بالنخوة والكرم. إذ استعمل لفظ(أعتقتُ)، و(فككت من الوثاق) كلاهما استعارة تصريحية حيث ذُكر المشبَّه به وهو لفظة(العتق) وحُذف المشبَّه وهي لفظة(الأسر/ الذل)، فكانت المرأة مقيدة بذل وعار، على حدّ تعبيره، ففكّ وثاقها، و(فككت من الوثاق) كذلك استعارة تصريحية، حيث شبّه حال المرأة المقيدة بذلّها، بقيود محسوسة، وقد فكّها بتحريرٍ جسدي، وجاء بالتشبيه الضمني فهو يُشبّه نفسه بمن يُعتق الجواري ويفكُّ القيود عن النساء الشريفات؛ ولكنه لم يذكر ذلك بصيغة (أنا)؛ بل ذكره مباشرة بلفظ (أعتقتُ)، فهذه الصور البلاغية تُظهر الشاعر في هيئة الفارس النبيل المُعتِق المحرر، وقد أضفت على فعله الحَسِن بُعداً أخلاقياً وإنسانياً.

وهناك من الشعراء من يفخر بقتل النساء، فهو بطولة وشجاعة من بطولاتهم في المعارك التي يخوضونها مع أعدائهم، قال عامر بن الطفيل(الأنباري, د.ت: 118):

بَقَرْنا الحُبالى من شُنوءَةَ بعدمَا خَبَطنا بفيفِ الرّيحِ نهدا وخثعما

إذ يتباهى الشاعر في هذا النصّ الشعري، ببطولات قبيلته وقوتها، ويصور انتصاراتها بصورة مبالغ فيها تعكسُ قيم الجاهليين في الاعتزاز بالغلبة والبطش والهيبة القتالية، استعمل لفظ (بقرنا) في صدر البيت ؛ لأنه يتحدث بصيغة الجمع هو وقومه وليس بصيغة المفرد(بقرتُ) وتعني أنا بقرتُ التي توحي بفعل فردي لا يناسب سياق الفخر والانتصار في المعارك الكبيرة؛ لكنه عبَّر عن ذلك بالفخر الجماعي الذي يوحي بالتكاتف والقوة والبطش الجماعي، فجاء بلفظ (بقرنا الحُبالى) وهي كناية عن الوحشية في القتال وشدّة البطش والانتصار، فهو لم يقصد من ذلك قتل الحوامل، بل تعظيم أثر النصر، وتصوير هذه البشاعة والوحشية ؛ لُيظهر شجاعة قومه وسطوتهم وبطشهم.

وقد كان للشاعر عمرو بن كلثوم، موقفاً مختلفاً فهو يرى في سبيّ النساء ضعفاً، فالقوي والشجاع من يأسر الملوك، فقال(يعقوب,2004: 83):

وكُنَّـــا الأيمنيــنِ إذا التَقَينْـا وكَـانَ الأيْسَرِيْـنَ بنـو أَبِينَـا

فَصَالُـوا صَوْلَة فِيمَنْ يَلِيهِـمْ وَصُلْنَـا صَوْلَـةً فِيمَنْ يَلِينَـا

فَــآبوا بالنّهابِ وبالسَّبَايَــا وَأُبْنَــا بــالملوك مُصَفَّدِينــا

فمن هنا جاء فخره، حين عودته مع قومه من الحرب منتصرين واصفاً بأسهم في المعارك، وبأنهم كانوا حماة الميمنة إذا لقوا الأعداء. وكان اخوانهم حماة الميسرة وقد حملوا على من يليهم ويصرَّح بقوله: بأننا ظفرنا بهم فلم نلتفت إلى اسلابهم واموالهم، وحينما انتصرنا وهزمنا خصمنا حصلنا على الأسرى وهم الملوك فوضعنا في ايديهم الاصفاد، فيما حصل اخواننا على الغنائم والاموال(البجاوي, 1967: 358–359) ، وفي متابعة لهذه الأبيات، وجد فيها شيوع استعمالهم لضمير الجمع ومنه(نا)، ليزيد النصّ الشعري قوة وتأكيداً فيزداد به الغرض الذي ينظم به قوة وتأكيداً. ونجد التكرار الصوتي والانسجام النغمي في الافعال(صالوا، صلنا آبوا، أبنا) وكذلك في نهايات الابيات المتماثلة صوتياً(الأبينا، يلينا، مصفدينا)، وفي ذلك تعزيز للتفوق والانتصار، وتعظيم للغنيمة كرمز للهيمنة، وإبراز الفارق في الشجاعة، وجاء في صدر البيت الثالث بلفظ(آبوا) و(أبنا) في عجزه، جناس ناقص وهو تشابه صوتي واختلاف في الحرف الأخير والمعنى، فلفظ (آبوا) تعني رجعوا، و(أبنا) تعني(رجعنا)، وهذا الجناس أبرز لنا التفاوت بين الطرفين في القوة ، وجاءت الاستعارة التمثيلية في عجز البيت الثالث بلفظ(الملوك مصفدينا) دلالة على القوة الكبرى، إذ لم يظفروا بالغنائم فقط ؛ بل أسروا قادة العدو أنفسهم، وكأنهم يجرّون العظمة جراً، وهي كناية عن النصر الساحق والتفوق المطلق في هذا الميدان، وقد حمل هذا المعنى الشرف والكرامة والسمعة الطيّبة.

المبحث الثاني: القيم القبلية: مظاهرها وتجلياتها

سادت في العصر الجاهلي كثير من المظاهر، التي تمثلت في الاخلاق والقيم، والتي اعطت جانباً مضيئاً في ذلك العصر، والتي عُرِف بها العربي وكانت محل افتخاره ومدار تباريه فيها. فكان كل فخره منصبّاً على ذكر هذه الخصال الحسنة، وهجاؤه مرتكزاً على شحتها عند عدوه وخصمه.

فقد استطاعت حضارتنا العربية أن تحتل الصدارة من بين حضارات الأمم الأخرى، والتي اقرّت جملة من القيم القبلية عبر تاريخها الطويل، وإن كانت بعض هذه القيم والخصال صفات مشتركة بين الحضارات والشعوب، إلا أن العرب قد تميزوا في شيم عُرفوا بها، وترسخت هذه القيم في أخبارهم وأشعارهم. وتغلغلت في حياة النّاس أفراداً وجماعات، وارتبطت بدوافع السلوك وغاياته، ونشأت في مواقف معينة أثناء تفاعلنا مع المواضيع التي تعجُّ بها الحياة اليومية(عميرش,2004: 23) وكما واضح ومعروف أن حياة العرب في العصر الجاهلي، لم تكن كلُّها دماء وثارات، ولم تحل روح العصبية القبلية بينهم وبين اتصافهم ببعض القيم النبيلة، وإن دفعهم هذا الأمر إلى الاخذ بالثأر وانتزاع جميع حقوقهم بالقوة، ورفض العدوان والظلم الذي يقع عليهم، فقد وصفوا بالمروءة والشجاعة والنجدة، والكرم والوفاء والحرية واكرام الضيف... وتحقيق هذه الاهداف النبيلة هي التي ميزتهم عن غيرهم من الحضارات والامم الاخرى وحكمت حياتهم(منصور, د.ت: 33).

وعليه تُعدُّ الامة العربية واحدة من الامم التي انتج عصرها الجاهلي بفطرته البدوية مجموعة من القيم القبلية، والتي تمسّك بها ودافع عنها بكلّ ما يملك من أجل الحفاظ عليها؛ لأنها كانت ضابطاً لحياته وعلاقاته مع الآخرين، ولكي تكون هذه القيم واضحة للجميع يجب أنْ ننظر لها من منظور العصر الذي تطورت فيه وليس من منظور عصر آخر اكثر ازدهاراً وتقدماً(الزاوي,2007: 2).

والآن يمكن التطرق إلى تلك القيم، التي سادت في العصر الجاهلي، وسارت هذه القيم والفضائل الخصال الحسنة مع الزمن، وبقيت محتفظة بفاعليتها وقوتها وأصالتها في حياة الإنسان المعاصر.

1-العِفة: الظاهر أن الحياة الجاهلية قائمة على اللهو ومغازلة النساء ، وتصوير وصالهن واوصافهن بشكل مفصل عند بعض الشعراء؛ لكن هناك من العرب من اتسموا بالعفة، وعُرفوا

باجتناب الاعراض وصونها وحفظها، وغض نظره عن نساء غيره. وخير دليل على ذلك أن المرأة الحرة الشريفة كانت إذا سافرت تسافر في هودجها، وإذا مكثت تمكث في بيتها أو خيمتها.

و((كانت عفة العرب هي الشرف، وهي من شروط السيادة كالشجاعة والكرم، وقد عُرِفَ عن الرجل الذي يجعل همه ابتغاء المهينات من النساء، ويتأثر في مسيرهن يُعدُّ في عرفهم جبان، مغمور العرض، ساقط الهمة؛ لأن قمع النفس ومغالبتها أدل على الشجاعة، وكانوا يقولون: ليس سيّداً من غلبته شُهوته))(طقوش,2009: 194) ، قال عنترة بن شداد(الكاتب,1981: 239-240):

وَأَغُضُّ طَرفي ما بدتْ لي جارَتِي حتــى يُوَاري جارتـــي مأواها

إنـــي امرؤ سمْحُ الخليقةِ مــاجدُ لا أُتْبعُ النَّفْسَ اللَّــجوجَ هواهــا

يركز الشاعر في هذين البيتين على اظهار شجاعته وقوته، وصيانة عرضه والمحافظة عليه، بأنه يغض بصره ، كناية عن العِفة، إذ يغض بصره إذا بدت له جارته حتى تدخل في بيتها فيواريها، معتبراً هذا الامر من شيم الرجال والغيرة على عرضه واعراض الناس الاخرين، مما يثبت لنا بجلاء صفة العفة المفرطة لديه، وكرر في صدر البيت الاول وعجزه لفظ(جارتي) ليؤكد على حرمة الجار وأن النظر إلى جارته تحديداً هو محط الحياء والحذر، واستطاع أن يخلق لنا رابطة شعورية قوية بين(النظر)،و(المأوى)، ليوضح للسامع والقارئ، بأنه لا يكتفي بغض طرفه؛ بل يستمر به الحال حتى تؤويها دارُها تماماً.

وفـــي الســياق ذاتــه حينمــا وصــفت الخنســاء اخاهــا صــخر فــي معــرض رثائهــا لــه ،فقالت(طمّاس,2004: 47)

لـم تَرَهُ جارةٌ يَمشي بساحَتِها لريبَـةٍ حينَ يُخلي بيتَهُ الجـارُ

هنا الخنساء في هذا النص الشعري، تفخر بأخيها صخر وبعفته وحيائه، وهو يحافظ على جارته حين يغيب زوجها عنها ، فإنه لا يحاول قطعاً أن يزور البيت أو يرى جارته إذا غاب زوجها، فهي بهذا الوصف تحاول أن تؤكد وتبيّن لنا أن العفة والحياء من القيم الجاهلية التي كان العرب يعتزون

بها ويحافظون عليها، وهي لم تكتفِ بعدم الدخول إلى ساحات النساء؛ بل جعلته لا يخرج من بيته إلا أن يطمئن بخلو المكان، ولم تذكر في حديثها صراحة(لأجل العفة) بل تركت هذا الفعل يدلُّ على ما ارادته وقصدته في قولها، ووجدناها متكررة عند اغلب الشعراء الجاهليين، فالأخلاق والشجاعة والعفة والوفاء بالعهد كلها توأم واحد وشيء مرتبط بشيء آخر، فهم تمسكوا بهذه الخصلة الحسنة وحافظوا عليها؛ لأنها دليل على التلاحم والتماسك الاجتماعي. وهي الحصن الذي يحمي الفرد من الوقوع في الشهوات ومهاوي الرذيلة، وتساهم في بناء مجتمع سليم يسوده الحب والوئام. وقد أظهرت الشاعرة أن الشرف لا يُقاس بالقوة والعظمة؛ بل بالأخلاق والوقوف على حدود الحلال والحرام.

وهذا حاتم الطائي الكريم، لم يكن فقط عنوان للكرم والعطاء للفقراء والمحتاجين، بقدر ما افتخر بعفته وحيائه وحفاظه على جارته، فهو لا يذكرها بسوء ولا يراودها عن نفسها في ظلمة الليل، ولا ينظر إليها بعين خائنة؛ بل يرعاها ؛ لأنها في نظره أمانةٌ يجب الحِفاظ عليها، إذ قال(الطائي, د.ت: 33):

إذا مـا بتُّ أختـل عـرس جـاري فيخفينـي الـظلام فـلا خفيتُ

أأفضحُ جـارتي وأخـون جـاري معـاذَ اللهِ أفعــل مـــا حـــييتُ

فهو من شدة عفته واستحيائه كان يترفع عن هذه الافعال المُشينة؛ لأنها في نظره لم تكن من افعال الكرام ؛ بل من افعال اللئام الذين تسنح لهم الفرصة في تحقيق نواياهم الخبيثة. ففي صدر البيت الاول جاء التشبيه الضمني في اختفاءه بالظلام وبين عدم رغبته في الظهور للعيان لإكرام الضيوف، مما زاد من تأثير المعنى واظهاره بالشكل الذي اراده حاتم الطائي، وكذلك الطباق بين لفظ(أختل)،(فلا خفيت) في صدر البيت وعجزه؛ لُيظهر دخوله في الخِلسة، وفي رغبته في البروز والظهور. وجاء في بداية البيت الثاني بلفظ(أأفضح)، بالاستفهام الانكاري في عدم رغبته بالقيام بهذا الفعل، والغاية منه الاستنكار والنفي، وبعدها جاءت الكناية في لفظ(أأفضح جارتي) ويُفهم منها أنها تعبير غير اخلاقي وغير لائق وفيه تجاوز لحدود الادب؛ لكنه اردفها في عجز البيت بلفظ،(معاذ الله) وهو تعبير ديني يُضفي على النص نوع من القداسة وينفي قيامه بأفعال محرمة، وعزز لنا

الجانب الاخلاقي المطلوب، وكرر لفظ(جاري) في نهاية صدر البيت الاول، ونهاية صدر البيت الثاني، بتمسكه القوي بقيمة الجار، وعدم خيانته له، وهو نوع من التكرار اللفظي الذي يخدم المعنى ويعطي انسجاماً صوتياً يعزز إيقاع النّص. وفي هذا كله ظهر الشاعر بمظهر الرجل الشريف الذي يرفض ويأبى الوقوع في الإثم والرذيلة، الذي لا يقبله لا على نفسه ولا على قبيلته.

2-الكرم:

على الرغم من الظروف القاسية الصعبة التي يمرُّ بها العربي بشكل عام، وشظف العيش في البيئة الصحراوية المقفرة بشكل خاص، إلا انهم قد رسخوا قيمة انسانية واخلاقية في العصر الجاهلي ألا وهي صفة الكرم، التي سعوا من خلالها إلى ترسيخ نفوسهم وتحقيق العدالة الاجتماعية بين فئات المجتمع؛ للحصول على فرص الحياة؛ لأن وجوده على قيد الحياة مرهون بأشخاص يُكرمون حتى يواجهون الفقر الذي يؤدي إلى الموت، إن لم يكن هناك من يقدم لهم المعونة، لكي يستحقّ الحمد والثناء(إبراهيم,2012: 3) ؛ لأنه يرى حق الآخرين في ماله الخاص، بحيث اضحت وفرة الفضائل من المآثر التي تميّز بها العربي والذي كان يتباهى في كثرة الضيوف وذبح الإبل وإطعام المحتاجين، فالكريم الذي كان يُعطي فيحرم على نفسه من نصاب حاجته الضرورية وهو الشخص الجواد المعطاء الكثير الخير، الجامع لأنواع الفضائل والخصال الحسنة، والكرم هو أحد عناصر السّيادة، قال حاتم الطائي(الطائي, د.ت: 18):

يقُولُونَ لي: أَهْلَكْتَ مالَك فاقتصِدْ وما كنتُ لولاَ ما تقُولونَ سيّدا

تتجلى مروءة الشاعر في إطعام المحتاجين، بالأوقات العصيبة الذي يَعزُّ فيه الأكل والمال؛ لكنه في هذا النصّ أظهر بأنه صاحب كرم وخير يعمُّ خيره في الشدائد وفي الايام العصيبة. وفي هذا النّص فقد وقع بين أمرين وهو لوم المجتمع له بأنه مبذّر أو مُسرِف، وبين عودة إلى نفس المجتمع الذين يلومونه؛ ولكن بيّن تأثير اقوالهم عليه، بأن جعلته سيّدا في اعينهم، فالتكرار هنا بين لفظ،(يقولون)، (تقولون) متناقض ؛ ليؤكد المفارقة بين الفخر واللوم، فهم يلومونه على الانفاق؛ لكنه بهذا الفعل جعل له السّيادة والجاه في مجتمعه. وفي قوله(أهلكتَ مالكَ) كناية عن الكرم الكثير

والزائد، فهذا النّص يحملُ بُعداً اجتماعياً ونقدياً، فهو لا يندم على فعله هذا ؛ بل يفتخر ويراه سبباً في علو مكانته وشأنه بين قومه، وجاءت رسالته واضحة بأن السيادة لا تُنال ولا تأتي إلا بالكرم والعطاء، ولو عدّهُ الناس إهلاكاً لماله، فهو سيّد بفضل كرمه، وقومه هم من يؤكدون ذلك، وإن لم يعترفوا صراحةً. فهو مع قلة الموجود عنده كان لا يمنع من العطاء ورغبته في التواصل مع الآخرين، فقد جاء في كلام العرب إن الكرم والعطاء يكون مع القليل من المال؛ لذلك قال حكماؤهم: ((القليل من القليل أحمد من الكثير إلى الكثير))(الأندلسي,1983: 196) ، ويؤكد ذلك أبو هلال العسكري، بقوله: ((وما مدحت العرب وما تمدحت بمثل الإعطاء على العسر والمواساة على القلة))(العسكري,1908: 10) ، وذكر سبب انتشار كرماء العرب مثل حاتم الطائي، وهرم بن سنان بأنه((ذهب صيتهم في السماح، وبَعُدَ ذكرهم في الجود؛ لأنهم كانوا يعطون وهم محتاجون، وينيلون وهم مختلفون))(العسكري,1908: 31) ، فعلى غِرار ذلك ذاع صيتهم بين العرب وعدّوهم من كرماء العرب ؛ لأن كرمهم لم يكن عادياً ؛ بل متميزاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وعلى الرغم من حاجتهم للأكل والمال، لم يتعذروا في مساعدة الناس، ولم تنقطع حاجتهم في سبيل كرم الناس، فاصبحوا مدعاة للأعجاب والتميّز.

وبالتالي فإن الكرم عندهم يأتي من نفس طيّبة، فهو يقدم مطيته ويعقرها ويقدمها طعاماً للناس، حتى لو كانت الوحيدة لديه ويفتخر بهذا الفعل، وهذا امرؤ القيس، يصف لنا هذا المشهد في يوم نحر مطيته لحبيبته فاطمة، فقال(الفاخوري,2005: 29-30):

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلعَذارى مَطِيَّتي فياَ عَجَباً من كُورِهَا المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كَهُذَّابِ الدَّمَقْسِ المُفَتَّلِ

يصف الشاعر في هذين البيتين، افتخاره بكرمه؛ لأجل حبيبته فقد اخذنَ يتراشقن بِلحمِ الناقة طوال النهار، لأنهن أكلن وشبعنَ من لحمها، فجعلن يلقي بعضُهنَّ إلى بعض شواء المطيّة استطابةً أو توسعاً فيه طوال نهارهنَّ؛ وشبّه شحمها بالحرير الأبيض الذي أُجيد فتلُه وبولغ فيه. وقوله(يا عجباً) في عجز البيت الأول، فالألف فيه بدل من ياء الاضافة، أو أن المنادى محذوف وتقديره: يا هؤلاء

أو يا قومُ اشهدوا عجَبي من كورها المتحمَّل(الدرة,1989: 49) ، فتعجَّبوا منه. وظهر الكرم عند العربي الذي يُبدي استعداده بإمكانياته المحدودة والبسيطة، في نحر ناقته وتقديم طعامها للمساكين والفقراء(حتي، جرجي،جبور,1951: 131) .وعليه فقد عَمِلَ الشاعر في العصر الجاهلي، على ممارسة القيم القبلية المعروفة، من الاخلاق والكرم والشجاعة والعفة، والإشادة بعمل الخير الذي يقومون فيه، واحساسهم بالضعفاء والفقراء والمحتاجين، وتمجيد افعالهم وخصالهم الحسنة؛ لأنها ارست دعائم المجتمع القبلي برغبة طوعية وذاتية من انفسهم؛ لذلك لقي مديحهم ترحيباً في مجتمعهم وقومهم، وصار لديهم استعداد نفسي لتقبل هذا المدح.

3-حماية الجار من الاعتداء والانتهاك:

في ظل غياب الانظمة السياسية في العصر الجاهلي، فإن العربي يتعرض هو وعائلته إلى الانتهاك والاعتداء، فهو بحاجة إلى من يوفر له الحماية، ولعل من الطبيعي أن تتجلى في شعره بعض القيم القبلية والاعراف الجاهلية التي شكّلت ركيزة اساسية للأمان في بيئته، كحماية الجار والوفاء بحقه، إذ كان للجوار منزلة رفيعة، تحفّها الحرمة ويحيطها التقدير والاحترام، وإذا استجارت قبيلة بقبيلة أخرى، أو شخص بشخص آخر، فإنه بلا شك وجبت حمايته ونصرته.

إذ كان العربي يرى في حماية جاره حرمة وحقاً، يدفعانه إلى السعي لرعاية حقه، ويتحمّل كامل المسؤولية عمّا يصيبه من أذى، سواء في ماله أو بدنه، مما يعكس مدى العناية الفائقة التي أحاطته بها قبيلته ومجتمعه في العصر الجاهلي، لما لهذه القيمة القبلية من توفيرها الطمأنينة والامان؛ ليعيش العربي مترفاً بعيداً عن كل ما يهدد امنه واستقراره، فاعتناء العربي بهذه القيمة والاهتمام بها ومراعاتها، تُعدُّ زجراً لكلِّ من تسوّل له نفسه بالاعتداء على الجار والإخلال بأمنه، فإن العربي كان يتردد كثيراً في المحافظة على جاره؛ لتعويد اللسان وإذاعة شمائله وفضائله بمراعاة حقّ الجار، وللمكانة الكبيرة والعزيزة التي يحتلها الجار في نفس العربي، كان من أبرز المفاخر التي يفتخر بها ؛ لأنها في نظره تعكس قوتهم وشجاعتهم في حماية الجار، والذبّ عنه، وتوفير الامان له، فإن هذا الفعل كان موجوداً بلا ريب عند القبيلة بأسرها ، كما كان حال خزاعة، التي كانت حريصة على كل من يجاورها، أن تكون وفيّه لحقوقهم المشروعة، ويستطيع الجار أن يأمن على ماله وعرضه ونفسه،

ولا يَقـدِر أحـد ايذائـه، فقـال الشـاعر قـيس بـن الحدادية مفتخـراً بقومـه لصـونهم حرمـة الجـار وحمايته(جابر, د.ت: 149–150):

خُزَاعَـةُ قَومـي فإن افتخِـرْ بِهِمْ يَزِكُ مُعْتَصَرِي والنَّسبْ هُمْ الرأسُ

والنـــاسُ مـــن بَعْدِهِـم ذُنابَـــى وَمَـا الرأسُ مثَـــلُ الذّنَبْ

فَجَارُهُـمْ آمِـنٌ دَهْـــرَهُ بِهِـــم أنْ يُضَـــامَ وأنْ يُـــغتصَبْ

فقد تباهى الشاعر، وافتخر بحماية قومه لجارهم فهم حريصون أشد الحرص على المحافظة على جارهم من أن يمسه أذى أو سوء، فالجار لديهم عزيز منيع، غير مهتضم ولا مظلوم حقه، وأن من يستجير بقومه يبقى أبد الدهر مطمئناً آمناً، غير مغتصب حقه أو مظلوم. فالجار له الحقّ في العيش بأمن وسلام في ظل الاعراف والتقاليد الاجتماعية التي حفظت عرضه وحياته وماله من الاستباحة. إذ نلمس تمسكه وحبه لقبيلته التي ينتمي إليها، ويرى في قومه محل عزٍ وفخر له ولكلّ افراد القبيلة، فهي التي تُزيل عنهم الكُرب والهموم، وتساعدهم في حل مشكلاتهم. وهذه القبيلة التي ذكرها الشاعر في بداية البيت الاول، بما تملك من المنزلة الرفيعة بين القبائل الاخرى، جعلها الشاعر(الرأس)، وسواهم بمنزلة أدنى وهي(الذنابى)، وفي ذلك بيان للإشادة بالقيم القبلية مثل النصرة وحماية الجار التي تُعدُّ من مآثر الجاهليين. وقوله في عجز البيت الاول(النسب هم الرأس) هنا شبّه نسبهم الكريم الاصل بالرأس، وهو بداعي الاساس والاصل، واستطاع توظيف المعنى في تعزيز المفارقة بين(الرأس) و(الذنب)، وفيه تأكيد للفخر والعلو والتفضيل، وفيه كذلك استعارة صورة الجسم، فقبيلة خُزاعة تمثل الرأس، وبقية الناس الآخرين يمثلون الذنب. والصورة الكلية هي تصوير هرمي وتشخيص للقبيلة التي يضعها في القمة، وجاء تكرار الحروف السين والميم والباء يوحي بالوقار والقوة ويعزز الايقاع الموسيقي للمعنى.

فالحفاظ على آمن الجار وحمايته من الاعراف المقدسة لدى العربي، فكان لا يكترث في كثير من الاحايين لأواصر الرحم وصلات القربى إذا غدر أحد بجاره، فمن ذلك حينما نزل غلام من بني حنظلة بجوار رجل من بني حُريثْ ، فخانه غدراً وقتله، وكان غرضه الاستيلاء على سلاحه وثيابه،

فجاءه هجاء أبو خراش ، هجاءً مُرّاً وعرَضَ به وبما فعله، مع ما كان بين أبي خراش الهذلي والمُجير من علاقة متينة وروابط راسخة، فقال(جابر, د.ت: 211-212) :

كَـأنَّ الـغُلامَ الحَنظَلـيَّ أَجــارَهُ عُمانِيَّـةٌ قـد عَـمَّ مَفرِقَهـا القَمْـلُ

أَبـاتَ عَلـى مِقراكَ ثُـمَّ قَتَلتَـهُ عَلى غيرِ ذَنبٍ ذاكَ، جَدَّ بكَ الثُّكـلُ

فَهَـلْ هُـوَ إِلّا ثوبُـهُ وسِلاحـهُ وَمَـا بِكُـمْ عُـريٌ إِليـهِ وَلَا عُـــزلُ

دَعَا قَوْمَهُ لَمّا اِستُحِـلَّ حَرامُـهُ وَمِن دونِهم عَرضُ الأَعِقَّةِ فَالرمـلُ

وَلَوْ سَمِعوا مِنهُم دُعاءً يَروعُهُم إِذاً لأتَتـهُ الخَيــلُ أَعيُنُهــا قُبــلُ

فالتشبيه واضح في قوله(كأنّ الغلامَ الحنظليَّ أجارهُ)، فهو تشبيه تمثيلي، فشبّه حال الغلام الحنظلي، العفيف الشريف في النسب العربي، الذي كان من المفروض اغاثته وحمايته ونصرته، ويشبه عملية الاغاثة بامرأة (عمانيّة) لا تملك من القوة ولا المنعة وهي متسخة الحال، لا تقدر ولا تصلح أن تكون جارة؛ لتحمي جارها، ووجه الشبه المفارقة والخذلان والذّل، وهي صورة للمهانة والذلّة التي وقع فيها الغلام، بعدَ أن خذله قومه، كأن قوة تلك المرأة اقوى من قوتهم بحيث لم يحسنوا جوار جارهم، وجاءت الاستعارة المكنية في صورٍ قوية موحية بالجمال والدقة في المعنى، فشبّه الشاعر(الثُكل) في عجز البيت الثاني، بإنسان جادٌ في امره، وهي دلالة على الفقد الشديد والحزن العميق الذي وقع عليه وهي مصيبةٌ كبرى. وقوله(الخيل أعينها قُبل)، استعارة تصورية، إذ شبّه الخيل بالكائنات الواعية التي تستبق بعينها وتنقضّ، دلالة على الاستعداد والترقب لما يحدث، ودلالة(ولو سمعوا)، أي انهم لو نُودوا لجاءوا مُستغيثين؛ لنجدته بفرسان سريعة وقوية، وكأن أعينهم تسبق اجسادهم لسرعة الاستجابة. فالصورة جاءت مؤلمة تجمع بين السخرية والعتاب المرّ، ورسمت لنا صورة عن الفتى الذي كان من اشراف العرب.

المبحث الثالث: من التفاخر الفردي إلى الوعي الجمعي

الوعي الجمعي من الأمور المهمة التي جسدها الشاعر الجاهلي، لأفراد القبيلة الواحدة، وهي التي تعبر عن الأخلاق والقيم العربية الأصيلة المشتركة بين جميع افرادها، وكان يُعزز هذه القيم من خلال ما يلقيه من شعر في سبيل تحقيق آمالها وتطلعاتها، ويساهم في تعزيز تماسكها ووحدتها، وكان يفخر بانتسابه لها ويصف شجاعتها وكرمها ويدافع عن هويتها ووجودها بين القبائل العربية؛ لأنه لسان حالها المعبر عنها، وحينما كانت رسالته طوعية من ذاته كان لزاماً عليه أن يوصل جميع القيم لأفرادها؛ لتعميق ارتباطهم بها؛ ولكي يُحسنوا في الدفاع عنها(جمعة,1996: 81).

وانطلاقاً من وعيه الجمعي، سعى الشاعر الجاهلي إلى تطوير انتمائه القبلي ؛ ليجسّد من خلاله تنوع القبائل وترسيخ وحدتها وتماسك بنيتها الاجتماعية؛ ليؤكد هذا الانتماء واستمراريته ؛لكي ترفع من شأن العربي ؛ لكونه منتمياً إلى قيمة ورابطة إنسانية(اسليم، قصبجي,1995: 60) ، متماسكة في آن واحد.

ويسعى الشاعر من خلال الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها، في محاولته؛ لرسم صورة جميلة ((للقبيلة، محاولاً التقرب لها والتمسّك بها))(الشحاذة,1990: 223) ، فهذه الصورة ليست فقط تعلقت بنصرة وحماية القبيلة من المهالك والاخطار الخارجية؛ لكنها ساعدت على بناء جسر قوي من العلاقات بين أفرادها، وتُسهِم في توحيدهم وخضوعهم للكلمة الواحدة(الشحاذة,1990: 234) ، لذا يظهر الشاعر الجاهلي، في رأيه الذي يتحمله في قيادة القبيلة لبرّ الامان، وتحويلها من الخراب والدمار الذي وقع عليها، إلى حياة جميلة مترفة ، تتجلى فيها الروح الجماعية، وأن فرديته تجسّم الشعور والاعتزاز بالفخر، وتؤكد أن العربي لا يفعل إلا الخير مهما كلّفه الأمر، فهو يتابع سيرة آبائه واجداده، فالفردية هنا ليست خاصة بالفرد، بل بالقبيلة نفسها(ادونيس,1989: 60) ، وسعى من خلال كل هذه التطلعات الفردية، إلى تحويل رؤى (الأنا) إلى الوعي الجمعي(نحن) فهي تمثل الركيزة الاساسية التي يسعى لها، قال الشاعر المُتلمّس(البصير,1970: 305-306):

إلـى كـلَّ قَـوْمٍ سُلَّمٌ يُرتَقَى بـهِ وَلَيْسَ إلـيْنـا فـي السَّلاليمِ مَطْلَـعُ

ويَـهْرُبُ مِنَّـا كـلُّ وَحْشٍ وينتهـي إلـى وَحْشِنـا وَحْشُ الفَلاةِ وَيَرْتَـعُ

صوّر الشاعر المجد بأسلوب تصويري رفيع، على سبيل الاستعارة المكنية، وهي أن قبيلته لا يمكن بلوغها والوصول إليها حتى (بالسّلالم)، وهي كناية عن المنزلة الرفيعة والعلو الفائق الذي لا يستطيع أحد الوصول إليه، وفي البيت الثاني جاءت الصورة مركّبة وعجيبة، وهي أن الوحوش تهرب منهم من شدّة البأس الذي يحملونه؛ ولكنهم يلجؤون إلى الوحوش التي تتبعهم ؛ لأن حتى وحش الفلاة يخشى منهم ، وفي ذلك رسم صورة ومشهد تخييلي بالغ القوة، وكرر لفظ(وحش.... وحشنا) للتوكيد والتمكين، واستعماله للألفاظ جاءت بتناسق معنوي(يَهرب، وحش، الفلاة، يرتع) دلّت على الرهبة والبأس والقوة، وهي تنوعت بين معنوية ومجردة(سلّم، مطلع) وحسيّة مجازية(وحش، الفلاة) ؛ ليعمّق الأثر الذي قصده.

فمن خلال قوة القبيلة والفخر بها، يأتي دوره في التحدّي والصراع، ويكثّف لنا المشهد بأسلوبه الشعري المتين ، مُعبراً بقوة عن رؤيته، ساعياً دوماً إلى إحداث توازن دقيق بين القوة والحقّ، إذ ذكر ابن بشر الآمدي، أن بني ملحم بن ذُهل أغاروا على أبل جار للشاعر حَزَن بن كهف، فذهبوا بها، فأتبعهم وقتل منهم وارجع الأبل، فقال(الآمدي,1991: 128) :

أمِن مالِ جاري رُحْتَ تَحْتَرِشَ الغَنَى وتدفعُ منك الفقرَ يا ابن مُحَلَّمِ

لقدْ ما أتيتَ الأمر من غيرِ وَجهِهِ وأخطأتَ جَهْداً وجهةَ المتغنّمِ

فما نحنُ بالقومِ المُباحِ حِمَاهُمُ وما الجارُ فينا إن عملتَ بِمُسْلَمِ

وأَنا مَتَى نُنْدَبْ إلى الموتِ نأتِهِ نخوضُ إليه لُجَّ مِنَ الدَّمِ

تُشير هذه الأبيات الأربعة، صراحة إلى حماية الجار، حينما مرَّ بأمر شديد وشنيع، وهو سرقة إبله، فالشاعر صوّر العدو وهو يتحرّش بالغنى، كما يطارد فريسة، ويدفع عنه الفقر؛ ولكن ليس بدافع الشرف والحقّ، بل بدافع الطمع والخبث. وفي البيت الثاني، جاء بأسلوب التقرير، بصورة ضمنية وهي أن العدو أراد الحصول على هذه الغنائم؛ لكنه لم يفلح بذلك، وخسر كل شيء. وبعدها تغنّى بمكارم وفضائل قبيلته المنيعة جدارها والشامخة، التي لا أحد يخترق أمن جارها المحصّن، بلفظ (المبُاح حماهم) وهي استعارة تصريحية مكنية، فشبّه (الحِمى) بشيء مقدس، لا يُباح، فصوَّره

بشيء حي له حدود وحدود يُمنع تجاوزها، ثُمَّ حذف المُشبه به (مثل الحرم، الأرض المقدّسة) وأبقى لازمه من لوازمه وكنّى عنها(بالمُباح) فتوحي بحماية القوم ولا يمسّهم سوء مهما كان الأمر؛ لأنهم يخوضون المعارك بشجاعة ودون تردد. وفي البيت الرابع جاء بلفظ (لُجّاً من الدم)،بتشبيه ضمني قوي، يصوّر المعركة بمحيط من الدماء الكثيرة والمُخيفة التي تشبه البحر العميق الذي لا يُعرف له قرار، كأن الدماء تفيض على الأرض في مشهد قوي، دلالة على التضحية الجسيمة التي كبدها للعدو، فالأبيات تحمل إيحاء النخوة والفخر والردع والاخطار التي تأتيهم من كل مكان، وتُشعر المُتلقي بالعظمة، فالعدو لا يستطيع مجرد التفكير بالاعتداء عليهم، فجارهم آمن مطمئن وقد أبلوا بلاءً حسناً وأظهروا شجاعتهم وقوتهم في القتال ورد حقوق جارهم.

الخاتمة وأبرز النتائج:

- كانت القبائل العربية في العصر الجاهلي، خير سندٍ للضعيف، تؤازره وتدافع عنه، وتثأر ممّن ظلمه.
- يتبيّن لنا أنّ القيم عند الشاعر ليست مطلقة بل نسبية، إذ تتبدّل نظرته إليها تبعاً لدوافعه النفسية واحتياجاته المختلفة عبر مراحل حياته. كما أنّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببيئته التي نشأ فيها، وبما يحيط بها من طبيعة، وتقاليد وعادات وتعاليم دينية، فجعل ذلك القيم غير ثابتة بل متحركة ومتغيرة، تخضع للتطور المستمر وفق ما تطلبه ظروف الإنسان وحياته.
- كانت القبيلة الحصن الحصين لأفرادها، ولا غنى للفرد عن الانتماء إليها ليحظى بالحماية والأمان، ويتجنب ما يحيط به من أخطار ومهالك في تلك الحياة البدوية القاسية الموحشة الجرداء .
- عاش الإنسان الجاهلي، على الرغم من قسوة الظروف وشدّة المِحن التي ألمّت به، كريماً أبيّ النفس ثابتاً على خُلق الجود والسخاء حتى آخر لحظة من حياته. فلم تستطع قسوة الصحراء، ولا قلة الموارد، ولا صراع البقاء أن تنزع منه هذه السجية النبيلة، بل ظلّ الكرم وسمه الأبرز، وعنوان إنسانيته الخالد.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1- بن زكريا, أحمد بن فارس, 1979 معجم مقاييس اللغة ط2 ، دار الجبل، بيروت- لبنان.

2 – الفراهيدي, أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم,1979, كتاب العين ط1، دار ومكتبة الهلال.

3– الزَّبيدي, محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني,(د.ت), تاج العروس من جواهر القاموس ط1، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

4 – الفيروز آبادي, الإمام اللغوي مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر1987, القاموس المحيط , ط8، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان.

5 – مجمع اللغة العربية,,1983 المعجم الفلسفي، (د.ط)، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة.

6 – ملكاوي,فتحي, 2011, استنباط القيم في حقل علمي ط1 ، تحرير: نادية مصطفى، وسيف الدين عبدالفتاح، دار البشير، مصر.

7 – عبدالرحمن,طه,2001, تعددية القيم، ما مداها وما حدودها ط1 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

8 – الطائي ,حاتم,(د.ت), ديوان حاتم الطائي ط3، دار صادر، لبنان/ بيروت.

9– علي, جواد,2001,المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط4، دار الساقي.

10 – عبد الرسول ,عمر (د.ت), ديوان دريد بن الصمة (د.ط)، دار المعارف، القاهرة.

11 – الكاتب، سيف الدين، الكاتب أحمد عصام, 1981, شرح ديوان عنترة بن شداد ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان.

12– الجندي, علي,(د.ت), شعر العرب في العصر الجاهلي ط1 ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

13– منصور, جميل,(د.ت),معجم شاعرات العرب من الجاهلية وحتى العصر الحديث ط1، دار البشائر، دمشق.

14– ماريديني, رغداء, 2008, شواعر الجاهلية(دراسة نقدية) ط2 ، دار الغار، دمشق، سوريا.

15– الأنباري, رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري من أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب(د.ت), ديوان عامر بن الطفيل ط2 ، دار صادر، بيروت.

16 – يعقوب, اميل بديع , 2004, ديوان عمرو بن كلثوم ط2 ، دار الكتاب العربي، بيروت.

17 –القرشي, أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي(ت أواخر القرن الرابع الهجري)1967، جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ط3، مطبعة لجنة البيان العربي الفجالة–القاهرة.

18- منصور, سعيد حسين,(د.ت) القيم الخلقية في الخطابة العربية ط1، دار النشر، بنغازي، ليبيا: منشورات جامعة بنغازي.

19 – طقوش, سهيل, 2009, تاريخ العرب قبل الاسلام ط1، دار النفائس، بيروت.

20 – طمّاس, حمدو, 2004, ديوان الخنساء ط2، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

21- الأندلسي, أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت328هـ),1983, العقد الفريد ط1،)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

22 – العسكري, أبو هلال(ت395هـ)،1908, الكرماء(د. ط) ، مطبعة الشورى.

23- الفاخوري, حنَّا, 2005,ديوان امرئ القيس (د.ط)، ، دار الجيل، بيروت- البو شرية .

24 – الدرة, محمد علي طه,1989, فتح الكبير المتعال، إعراب المعلقات العشر الطوال ط2، مكتبة السوادي، جدة- السعودية.

25- حتي, فيليب، جرجي, أدورد، جبور, جبرائيل , 1951, تاريخ العرب المطول ط3 ،دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.

26- الاصفهاني, أبو الفرج, (د.ت) ,الاغاني، أبو الفرج الاصفهاني ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان .

27- ادونيس, 1989, كلام البدايات (د.ط)، دار الآداب، بيروت.

28- البصير, حسن كامل,1970, ديوان شعر المُتلمس الضبعي رواية الأثرم، وأبي عبيدة عن الأصمعي (د.ط)، معهد المخطوطات العربية، مصر.

29 – الآمدي, أبو القاسم الحسن, 1991, المؤتلف والمختلف ط2، دار الجيل ، بيروت.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

1- الشحاذة, عبد العزيز محمد,1990, الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي، (اطروحة دكتوراه)، جامعة عين شمس، مصر.

2-عميرش, نجوى,2004,الطلبة الجامعيون بين القيم السائدة والقيم المتنحية: (دراسة نظرية ميدانية)، (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة منتوري/ قسنطينة.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

1–اسليم, فاروق، قصبجي, عصام, 1995, الانتماء في العرف الجاهلي، ، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد(27).

2–جمعة, حسين,1996,الانتماء وظاهرة القيم العربية ف ي القصيدة الجاهلية، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، مج،16 ،العدد(63)، السنة السادسة عشرة.

3–إبراهيم, توفيق صالح, 2012, القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً قيمة الكرم أنموذجاً، بحث منشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 7، العدد 1.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية(الأنترنت):

1–الزاوي, منذر عمران, 2007, لمحة عن منظومة القيم في العصر الجاهلي، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية،**http://www.alfaseeh.com/vb/index.php**

First: Sources and References:

1-Ibn Zakariya, Ahmad ibn Faris, 1979, Dictionary of Language Standards, 2nd ed., Dar al-Jabal, Beirut, Lebanon.

2-al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim, 1979, Kitab al-Ayn, 1st ed., Dar and Library of al-Hilal.

3-al-Zubaidi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husayni, (n.d.), Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus, 1st ed., edited by a group of editors, Dar al-Hidaya.

4-al-Fayruzabadi, The Linguistic Imam Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Umar, 1987, Al-Qamus al-Muhit, 8th ed., edited by the Heritage Verification Office at the Resalah Foundation, under the supervision of Muhammad Na'im al-Arqasusi, Resalah Foundation, Beirut, Lebanon.

5-The Arabic Language Academy, 1983, Philosophical Dictionary, (n.d.), General Authority for Amiri Printing Presses, Cairo.

6-Malkawi, Fathi, 2011, Deriving Values in a Scientific Field, 1st ed., edited by Nadia Mustafa and Saif al-Din Abdel Fattah, Dar al-Basheer, Egypt.

7-Abdulrahman, Taha, 2001, Pluralism of Values: Its Scope and Limits, 1st ed., Faculty of Arts and Humanities, Marrakesh.

8-al-Ta'i, Hatim, (n.d.), Diwan Hatim al-Ta'i, 3rd ed., Dar Sader, Lebanon/Beirut.

9-Ali, Jawad, 2001, Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam, 4th ed., Dar al-Saqi.

10-Abdul Rasul, Omar (n.d.), Diwan Duraid ibn al-Samma (n.d.), Dar al-Ma'arif, Cairo.

11-al-Katib, Saif al-Din, writer Ahmed Essam, 1981, Commentary on the Diwan of Antarah ibn Shaddad, 1st ed., Dar Maktabat al-Hayat Publications, Beirut, Lebanon.

12-Al-Jundi, Ali, (n.d.), Arab Poetry in the Pre-Islamic Era, 1st ed., Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Egypt.

13-Mansour, Jamil, (n.d.), Dictionary of Arab Female Poets from the Pre-Islamic Era to the Modern Era, 1st ed., Dar Al-Bashair, Damascus.

14-Mardini, Raghdaa, 2008, Pre-Islamic Poets (A Critical Study), 2nd ed., Dar Al-Ghar, Damascus, Syria.

15-Al-Anbari, The Narration of Abu Bakr Muhammad ibn Al-Qasim Al-Anbari from Abu Al-Abbas Ahmad ibn Yahya Tha'lab (n.d.), Diwan Amer ibn Al-Tufayl, 2nd ed., Dar Sader, Beirut.

16-Yaqub, Emile Badi', 2004, Diwan Amr ibn Kulthum, 2nd ed., Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

17-Al-Qurashi, Abu Zaid Muhammad ibn Abi Al-Khattab Al-Qurashi (d. late fourth century AH), 1967, A Collection of Arab Poetry in Pre-Islamic and Islamic Times, 3rd ed., Arab Statement Committee Press, Al-Fajjala, Cairo.

18-Mansour, Saeed Hussein, (n.d.), Moral Values in Arabic Rhetoric, 1st ed., Publishing House, Benghazi, Libya: University of Benghazi Publications.

19-Taqush, Suhail, 2009, History of the Arabs Before Islam, 1st ed., Dar Al-Nafayes, Beirut.

20-Tammas, Hamdo, 2004, Diwan Al-Khansa', 2nd ed., Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon.

- 21-Al-Andalusi, Ahmad ibn Muhammad ibn Abd Rabbuh (d. 328
AH), 1983, Al-Iqd al-Farid, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

22-Al-Askari, Abu Hilal (d. 395 AH), 1908, Al-Karama (n.d.), Ash-Shura Press.

23-Al-Fakhouri, Hanna, 2005, Diwan Imru' al-Qais (n.d.), Dar al-Jeel, Beirut-Al-Boushariyah.

24-Al-Durra, Muhammad Ali Taha, 1989, Fath al-Kabir al-Muta'ali, I'rab al-'Ashra al-Tawwal, 2nd ed., Al-Sawadi Library, Jeddah, Saudi Arabia.

25-Hitti, Philip, George, Edward, Jabur, Gabriel, 1951, The Long History of the Arabs, 3rd ed., Dar al-Kashaf for Publishing, Printing, and Distribution

26- Al-Isfahani, Abu al-Faraj, (n.d.), Al-Aghani, Abu al-Faraj alIsfahani, 2nd ed., Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon .

Adonis, 1989, Kalam al-Bidayat (n.d.), Dar al-Adab, Beirut.27-

Basir, Hassan Kamel, 1970, Diwan of the Poetry of al-

28-Mutalammis al-Dab'i, Narrated by al-Athram and Abu Ubaidah on the authority of al-Asma'i (n.d.), Institute of Arabic Manuscripts, Egypt . 29-Al-Amidi, Abu al-Qasim al-Hasan, 1991, Al-Mu'talif wa al- Mukhtalif, 2nd ed., Dar al-Jeel, Beirut.

Second: Letters and Theses:

1-Al-Shahada, Abdul Aziz Muhammad, 1990, The Self and the Tribe in Pre-Islamic Poetry (PhD dissertation), Ain Shams University, Egypt.

2-Amiresh, Najwa, 2004, University Students Between Dominant and Deviant Values: (A Theoretical Field Study), (Master's Thesis), Faculty of Humanities and Social

Sciences, Department of Sociology and Demography, University of Mentouri, Constantine.

Third: Magazines and Periodical:

1-Aslim, Farouk, Qasbaji, Issam, 1995, Belonging in Pre-Islamic Custom, Aleppo University Research Journal, Issue (27.(

2-Juma, Hussein, 1996, Belonging and the Phenomenon of Arab Values in Pre-Islamic Poetry, Arab Heritage Magazine, Arab Writers Union, Damascus, Vol. 16, No. (63), Sixteenth Year.

3-Ibrahim, Tawfiq Saleh, 2012, Values in Pre-Islamic Poetry as a Social Control: The Value of Generosity as a Model, a study published in the Kirkuk University Journal of Humanities, Volume 7, Issue 1 .

Fourth: The Internet:

1-Al-Zawi, Munther Imran, 2007, A Glimpse into the Value System in the Pre-Islamic Era, Al-Faseeh Network for Arabic Language Sciences, http://www.alfaseeh.com/vb/index.php